



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : ANS - NAHAR
Date : 4-4-96
Photo No. : 79

نعرف طبعاً ان ما من شيء في لبنان بريء. لنفترض لحظة إذا ان قرار الاعتصام يعود، كما يدعي البعض، الى رغبة سورية في تعكير اجواء الزيارة. فأين الضرر من ان يرى الزائر هذا الوجه من البلد تحديداً؟ أليس هو الوجه الغالب فيه؟ ام ان المطلوب ان يرى الضيف بلداً آخر، مقيراً تماماً للذي يشاهده يومياً المواطنون الذين يعيشون فيه ويعانون ظروفه؟

يتساءل رجال السياسة والاعلام منذ ايام عن معنى الزيارة وابعادها. لكن الاجابة عن هذا التساؤل تستوجب رداً على سؤال اولي: اي بلد سيرى شيراك ابتداءً من اليوم؟ بل، اي بلد يزور؟ بالطبع، لا يمكن التوهم ان الرئيس الفرنسي يستطيع خلال يومين النفاذ الى كل الحقائق. والزيارات الرسمية بين رؤساء الدول لا تهدف الى ذلك اصلاً. فكم بالأحرى عندما يغلب عليها الطابع الاحتفالي الرمزي، كما سنرى خلال متابعة تجوال شيراك بين بعثنا وبكركي مروراً بقريطم. غير انه يجب التنبيه الى ان هذا الطابع الاحتفالي تحديداً قد "يشوه" صورة البلد الفعلية، فيغير من معاني الزيارة.

اكثر ما سيراه شيراك على الأرجح في تنقلاته هو العلم اللبناني مقروناً للمناسبة بالعلم الفرنسي (أقله في بعض المناطق). ولكن هل يمكن التوقف عند هذا المظهر؟ ثم انه، خلال هذه التنقلات، سيرى بلداً حسن التنظيم: طرقات معبدة وأمن ووثاق. فهل يتوقف عند هذا المظهر ايضاً؟ وإن فعل، فكيف سيستطيع بعد ذلك ان يزن المستلزمات الفعلية لتنظيم البلد (علماً ان هذا هو احد ابعاد التعاون الفرنسي - اللبناني الاكثر فاعلية).

لكن "التشويه" الاكبر ليس هنا. انه في اختصار البلد، كما سيُعرض امام عيني شيراك، الى طاقم حاكم منهمك انهماكاً كاملاً في ورشة الاعمار، على ما سيقال له، وجمهور محبط لا يجد ملاناً الا عند "الام الحنون" (وفي الجمعة العظيمة فوق كل شيء). كيف ينجح شيراك بعد ذلك في استكمال صورة بلد ليس فيه لا ابيض ولا اسود، اما مختلف تلاوين الرمادي؟

سمير قصير

أي بلد سيرى؟

هل يذكر أحد من الذين قامت قيامتهم ضد قرار الاتحاد العمالي العام الاعتصام امام مجلس النواب لحظة يلقي رئيس الجمهورية الفرنسية جاك شيراك كلمة امام الهيئة الاشتراكية اللبنانية، هل يذكر احدهم ان باريس، عاصمة الجمهورية الفرنسية ايها، كانت مشلولة بفعل الاضرابات والتظاهرات العمالية عندما استضافت حدثاً عالمياً بحجم توقيع الاتفاق الدولي حول البوسنة في كانون الأول من العام الماضي؟ وقتئذ، لم يفكر احد في اوساط الحكم الفرنسي في دعوة الهيئات النقابية الى التخلي عن احتجاجها بحجة مصلحة الدولة العليا، او من اجل المحافظة على سمعة البلد.

لبنان ليس فرنسا، هذا امر محسوم. فهو بلد من العالم الثالث يصّر مثل معظم بلدان العالم الثالث على الخلط بين ثلاثة مفاهيم يفترض ان تتمايز عن بعضها البعض: البلد، الدولة والنظام. ورجال السياسة في لبنان ليسوا كرجال السياسة في فرنسا، وهذا ايضاً محسوم. فهم قبل كل شيء لبنانيون، اي حريصون اشد الحرص على كل ما هو لياقة وسمعة وماء الوجه، الى ما هنالك من مظاهر الاحترام.

اللحن معروف، ما هذا؟ لبننة؟ عيب مثل هذا الكلام! لا تقولوا للعالم اننا قتلنا بعضنا البعض! ولا توحوا خصوصاً اننا لم نتعاف! حذار ان تخبروا أحداً في الخارج (خارج حدود معاهدة الاخوة على الاقل) اننا لا نعبأ بالانقسام الاجتماعي واننا نحتقر الدستور بالممارسة فنمّدد ونؤجّل...